عناية الشيخ محمد تقي العثماني بمشكل الحديث من خلال كتابه "تكملة فتح الملهم"

SHEIKH MUHAMMAD TAQI AL-'UTHMANI'S APPROACH TO MUSHKIL AL-HADITH IN HIS BOOK "TAKMILAT FATH AL-MULHIM"

Muhammad Asaad
Fathiddin Mhd Abdullah Beyanouni
Faculty of Usuluddin, Sultan Sharif Ali Islamic University, Brunei Darussalam
(Corresponding author) e-mail: m.asaadshabbir@gmail.com

Abstract

Sheikh Muhammad Taqi Usmani is considered one of the contemporary scholars who has made significant contributions to the service of Imam Muslim's "Sahih." He has provided an extensive commentary on this valuable book titled: Takmilah Fath al-Mulhim bi Sharh Sahih al-Imam Muslim. This commentary is distinguished by its great focus on resolving problematic hadiths by addressing the apparent contradictions that may seem to exist between prophetic traditions and legal principles, scientific facts, and historical realities. The aim of this research is to shed light on Sheikh Usmani's careful approach to this issue, relying on a descriptive and analytical method to achieve this goal. The research shows Sheikh Usmani's attention to resolving the apparent contradictions between hadiths and Quranic texts, legal principles, rational arguments, and factual realities. His method is characterized by balance and scholarly precision, with a strong commitment to preserving the authenticity of the Islamic texts and interpreting them in harmony with the firm principles of Islam. This reflects the depth of his understanding and his keenness to uphold the integrity of the sacred texts, ensuring their interpretation aligns with the well-established principles of Islam.

Keywords: *Sahih Muslim, Takmilat Fath al-Mulhim, Hadith Commentary, Mushkil al-Hadith, Muhammad Taqi al-Uthmani.*

Submission date:
02 January 2025
Received in revised form:
18 March 2025
Acceptance date:
15 May 2025
Available online:
26 June 2025
Competing Interest:
The author(s) have declared that no competing interest exists.

ملخّص

يعد الشيخ محمد تقي العثماني من العلماء المعاصرين الذين قدموا إسهامات جليلة في خدمة صحيح الإمام مسلم. وله شرح موسع لهذا الكتاب القيم، بعنوان: "تكملة فتح الملهم بشرح صحيح الإمام مسلم". وقد تميز هذا الشرح باهتمامه الكبير بمشكل الحديث من خلال دفع التعارض الظاهري الذي قد يبدو بين الأحاديث النبوية وبين الأدلة والقواعد الشرعية، والحقائق العلمية والتاريخية. ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على عناية الشيخ العثماني في تناول هذا الموضوع، معتمدًا على المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق هذا الهدف. وقد أظهر البحث اهتمام الشيخ بدفع التعارض الظاهري بين الأحاديث وبين النصوص القرآنية والقواعد الشرعية والعقلية والواقعية. حيث تميز منهجه بالتوازن والدقة العلمية، مع حرصه على الحفاظ على أصالة النصوص الشرعية وتفسيرها بما يتوافق مع المبادئ الإسلامية الراسخة. مما يعكس عمق فهمه وحرصه على المحافظة على أصالة النصوص الشرعية وتفسيرها بما يتوافق مع المبادئ الإسلامية الراسخة.

الكلمات المفتاحيّة: صحيح مسلم – مشكل الحديث – تكملة فتح الملهم – شرح الحديث – محمد تقي العثماني.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، وألقى إليه معانيه، ليبيّن للناس ما نُزّل إليهم، ويفسّره تفسيرًا، وأرسله إلى الناس كافّة ليعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، اللهم فصلِّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين حملوا لواء الكتاب والسنّة وسعوا لنشر علومهما سعيًا مشكورًا، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن علم الحديث النبوي من أهم العلوم الإسلامية التي اهتم بها العلماء على مر العصور، إذ يمثل الحديث النبوي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم. ومن بين القضايا التي شغلت علماء الحديث قضية "مشكل الحديث"، وهي تلك الأحاديث التي توهم التعارض مع نصوص أخرى أو مع العقل والحسّ والواقع. وقد تناول العديد من العلماء هذه القضية، محاولين تقديم تفسيرات وحلول لمعالجة التعارض الظاهر في تلك الأحاديث.

ويعد الشيخ محمد تقي العثماني أحد أبرز علماء العصر الحديث، الذين قدموا إسهامات كبيرة في هذا المجال من خلال شرحه الموسع لصحيح الإمام مسلم في كتابه "تكملة فتح الملهم"، الذي يمثل استكمالًا لعمل الشيخ شبير أحمد العثماني في كتابه "فتح الملهم"، ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على اهتمام الشيخ محمد تقي العثماني بعلم مشكل الحديث، من خلال دراسة كتابه "تكملة فتح الملهم"، للوقوف على المجالات الرئيسة التي اعتنى بها الشيخ في دفع التعارض الظاهري للأحاديث مع غيرها من الأدلة

الشرعية والحقائق العلمية والتاريخية، مع تقديم الأمثلة التوضيحية لكل مجال من تلك المجالات، مما يساهم في فهم أعمق لعنايته بهذا العلم، وتوضيح أهمية إسهاماته في هذا المجال معتمدًا على المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق هذا الهدف.

وقد ركزت الدراسات السابقة على موضوع مشكل الحديث ومختلفه من خلال استعراض مناهج كبار العلماء في معالجة التعارض الظاهري بين النصوص الحديثية. تناولت دراسة الإمام ابن العربي في "عارضة الأحوذي"[1] مفهوم مشكل الحديث وأسبابه وشروطه، موضحةً منهجه في رفع الإشكال بين الأحاديث. واهتمت دراسة ابن حزم في "المحلى"[2] بعرض قواعده في دفع التعارض مع عرض تطبيقات عملية. كما تناولت دراسة القاضي عياض في "إكمال المعلم"[3] أسلوبه في التوفيق بين النصوص الشرعية مع تحليل نماذج من مشكل الحديث. وأبرزت دراسة الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم[4] الضوء على منهجه المقارن في تفسير الأحاديث المختلفة. تقدم هذه الدراسات أسسًا علمية للباحث لفهم طرق العلماء في رفع الإشكال بين الأحاديث وتوجيهها بما ينسجم مع القواعد الشرعية.

ويشتمل البحث على تمهيد يوضح مفهوم مختلف الحديث ومشكله، ويبين أوجه استشكال متن الحديث الشريف، وعناية الشيخ بدراسة مشكل الحديث، وتختتم الدراسة بعرض نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد

مفهوم "مختلف الحديث" و "مشكله".

تعددت أقوال العلماء في تسمية هذا العلم من جهة، وفي تعريفه وتحديد معناه من جهة أخرى؛ فقد أطلقت عليه الأسماء الآتية: اختلاف الحديث، ومختلف الحديث، ومشكل الحديث، ومناقضة الحديث.[5] وقبل البدء في عرض منهج الشيخ في التعامل مع هذا الموضوع يحسن أن نعرف مصطلح "مختلف الحديث ومشكله"، ونبين الفرق بينهما:

[1] Ali Masoudan. Mushkil al-Hadith ʿInda al-Imam Abi Bakr ibn al-ʿArabi min Khilal Kitabihi ʿAridat al-Ahwadhi, (Algeria: University of Batna, Faculty of Islamic Sciences, Department of Usul al-Din, 2018-2019).

[2] Majid al-Khalifah, Mukhtalif al-Hadith ʿInda al-Imam Ibn Hazm al-Zahiri min Khilal Kitabihi al-Muhalla, (Kuwait: Dar Andalusiyyah li'l-Nashr wa'l-Tawzi. 2020).

[3] Othman Afoun, Mukhtalif al-Hadith wa Mushkiluhu fi Kitab Ikmal al-Muʿlim bi Fawaʾid Muslim lil-Qadi ʿIyad, (Algeria: University of Emir Abdelkader for Islamic Sciences, Constantine. 2021-2022).

[4] Mansur bin Abd al-Rahman, Mukhtalif al-Hadith ʿInda al-Imam al-Nawawi min Khilal Sharhihi ʿala Sahih Muslim: Jamʿan wa Dirasah Muqaranah, (Makkah al-Mukarramah: Umm al-Qura University, Faculty of Daʿwah and Usul al-Din n.d)

[5] Al-Kattani, Muhammad bin Ja'far. al-Risalah al-Mustatrafah li-Bayan Mashhur Kutub al-Sunnah al-Musharrafah. Edited by Muhammad al-Muntasir bin Muhammad al-Zamzami, (Dar al-Basha'ir al-Islamiyyah, 6th ed. 2000), 158.

أ. التعريف بـ"مختلف الحديث"، و"مشكله".

"المختَلِف" لغةً: اسم فاعل من الفعل الخماسي: اخْتَلَف، والمصدر: اختلاف، يقال: "تَخَالَفَ الأمْرانِ واختلفا؛ إذا لم يَتَّفِقَا، وكَلُّ ما لم يَتَسَاوَ، فقد تَخَالَفَ واخْتَلَفَ".[6] فالاختلاف في اللغة يطلق على التناقض وعدم الاتفاق.

وقد اختلف العلماء في ضبط كلمة مختلف، فمنهم –وهم الأكثرون– على أنه بضم الميم وكسر اللام، فهو اسم فاعل من اختلف والإضافة بمعنى من أي المختلف من الحديث، ومنهم من ضبطه بضم الميم وفتح الميم على أنه مصدر ميمي بمعنى الاختلاف، والإضافة على هذا بمعنى "في" بمعنى الاختلاف في الحديث.[7]

ولمختلف الحديث تعريفات عدة، والتعريف المختار: "الأحاديث التي يعارض بعضها بعضًا في الظاهر".[8]

و"المشكل" في اللغة: اسم فاعل من الفعل الرباعي: أشْكَلَ، والمصدر: إشكال، يقال: "أشكل الأمر إذا التبس، ويقال للأمر المشتبه: مشكل. فالمشكل في اللغة هو الملتَبِس والمشتبِه والمختلِط.[9] ويُطلق على كل ما غَمُض ودقّ من الأمور.

والتعريف المختار لمشكل الحديث هو: "الأحاديث التي توهم التعارض مع غيرها من الأدلة والقواعد الشرعية، أو الحقائق العلمية والتاريخية".[10]

وقد تعدّدت مواقف المصادر الحديثة من مصطلح "مختلف الحديث ومشكله"، فقد ذهب بعض العلماء إلى التسوية بين مصطلحي "مختلف الحديث" و"مشكل الحديث"، وعدّهما اسمين لمسمى واحد[11]، وفرق بعضهم بين مختلف الحديث ومشكل الحديث، فجعل مختلف الحديث مقتصرا على الأحاديث التي يعارض بعضها بعضًا في الظاهر، أما مشكل الحديث فيشمل مختلف الحديث، إضافة إلى الأحاديث التي

---

[6] Ibn Sayyidah, Abu al-Hasan Ali bin Ismail, al-Mukhassas, Edited by Khalil Ibrahim Jaffal, (Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, 1996), 3/371.

[7] Abu Shuhbah, Muhammad bin Muhammad, al-Wasit fi ʿUlum wa Mustalah al-Hadith, (Dar al-Fikr al-ʿArabi, n.d.), 441.

[8] al-Bayanuni, Fath al-Din & Suyuti, Abd al-Manas, Ulum Dirayat Matn al-Hadith, (Brunei Darussalam: Sultan Sharif Ali Islamic University, 2021), 62؛ al-Suswah, Abd al-Majid Muhammad Ismaʿil, Manhaj al-Tawfiq wa al-Tarjih wa Atharuhu fi al-Fiqh al-Islami, (Dar al-Nafa'is li'l-Nashr wa'l-Tawzi, n.d.), 54؛ al-Khair Abadi, Muhammad Abu al-Laith, Ulum al-Hadith Asiluha wa Muʿasiruha, (Deoband, Maktaba Dar al-ʿUlum Waqf, 2023), 377.

[9] Abu Mansur, Muhammad bin Ahmad, Tahdhib al-Lughah, Edited by Muhammad Awad Mur'ib, (Beirut, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi 2001), 10/16

[10] Bayanuni, & Suyuti, ʿUlum Dirayat Matn al-Hadith, 62.

[11] كما هو صنيع الإمام الطحاوي في كتابه "شرح مشكل الآثار"، وابن قتيبة في كتابه "تأويل مختلف الحديث"، وجعلاهما في مصنفيهما على صورة توهم أنهما شيء واحد. ومال إلى هذا الصنيع بعض المعاصرين، ومن هؤلاء الشيخ نور الدين عتر حيث قال في كتابه: "مختلف الحديث: وربما سماه المحدثون "مشكل الحديث". انظر:
Nur al-Din Itter, Manhaj al-Naqd fi ʿUlum al-Hadith, (Damascus, Dar al-Fikr, 3rd ed. 1981), 337.

عارضت القرآن الكريم، والعقل، والحقائق العلمية، وبناء على ذلك يكون بين المصطلحين عموم خصوص مطلق حيث إن كل مختلف يعد مشكلًا، وليس كل مشكل يعد من قبيل "مختلف الحديث".[12]

ب. أوجه استشكال متن الحديث الشريف.

تتعدد أوجه استشكال متن الحديث الشريف، فقد يوهم ظاهر نص الحديث الثابت مخالفة نص من القرآن الكريم، أو حديث آخر، أو تكون المخالفة الظاهرة لإجماع، أو لقياس، أو لقاعدة شرعية، أو لعقل، أو لحس وواقع، أو لتاريخ ثابت، أو لحقيقة علمية مقررة. فإذا تعارض الحديث المقبول مع أي من الأصول السابقة تعارضاً ظاهرياً، وأمكن الجمع بينهما فإنه يدخل في دائرة الحديث المشكل. [13]

وقد اختلف العلماء في ترتيب طرق دفع التعارض الظاهري، فذهب جمهور أهل العلم إلى دفع التعارض بين الأحاديث بهذا الترتيب: التوفيق بين الأحاديث المختلفة بالجمع إن أمكن، فإن تعذر فالنسخ إن تحقق الناسخ، فإن تعذر فالترجيح، خلافا لجمهور الحنفية، فقد ذهبوا إلى أنه إذا تعارض حديثان، فيدفع التعارض بينهما بالنسخ أولًا، فإن تعذر فالترجيح، فإن تعذر النسخ والترجيح فالجمع، فإن تعذرت جميعا، فالتساقط أي التوقف.[14]

دفع التعارض عن الأحاديث التي تُوهِم مخالفة القرآن الكريم.

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يصدران من مشكاة واحدة، فكلاهما مصدره الوحي، ولا يمكن أن يكون بينهما تعارض أو اختلاف. فإذا أوهم الحديث المقبول معنىً مناقضًا لما نص عليه القرآن، فينبغي الجمع بينهما بوجه من أوجه الجمع المعروفة.[15] وقد اعتنى الشيخ العثماني بالجمع بين الأحاديث النبوية وبين ما أوهمت معارضته من الآيات القرآنية، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

1. الأحاديث الواردة في أشد الناس عذابا يوم القيامة.

جاء في حديث عائشة –رضي الله عنها–: (أشد الناس عذابا عند الله، يوم القيامة: الذين يضاهون بخلق الله).[16] وكذا في رواية أخرى: (إنّ من أشدّ أهل النار، يوم القيامة عذابا: المصورون).[17] أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث أن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون، فظاهر هاتين الروايتين يوهم معارضته لقول الله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 46]، حيث إن ظاهرهما يقتضي أن يكون المصور أشد

[12] al-Bayanuni, Fath al-Din & Haifa Abd al-Aziz al-Ashrafi, Istishkal al-Ahadith al-Nabawiyyah fi Daw' al-Qawa'id al-Shari'iyyah, (Journal of Hadith Studies, vol. 2, issue 6. International Islamic University Malaysia, December 2021), 73.

[13] Al-Bayanuni, Fath al-Din Muhammad Abu al-Fath, Mushkil al-Hadith: Dirasah Ta'siliyyah Muʿasirah, (Egypt, Dar al-Salam, 2012), 69–93; al-Bayanuni, Fath al-Din & Suyuti, Abd al-Manas, ʿUlum Dirayat Matn al-Hadith, 99–118.

[14] Al-Suswah, Manhaj al-Tawfiq wa al-Tarjih wa Atharuhu fi al-Fiqh al-Islami, 113-116.

[15] Al-Bayanuni, Mushkil al-Hadith: Dirasah Ta'siliyyah Muʿasirah, 69.

[16] Muslim, Ibn al-Hajjaj Abu al-Husayn al-Qushayri al-Naysaburi, Sahih Muslim, Edited by Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Kitab al-Libas wa al-Zeenah, Bab Tahrim Taswir Surah al-Hayawan... No. 2104, (Cairo, Matba'at Isa al-Babi al-Halabi wa Sharikah, 1955), 3/1664.

[17] Narrated by Muslim in his Sahih, Kitab al-Libas wa al-Zeenah, Bab Tahrim Taswir Surah al-Hayawan... No. 2109, 3/1670.

عذابًا من آل فرعون. وقد ذكر الشيخ أقوال العلماء في دفع هذا التعارض نقلًا عن فتح الباري وعمدة القاري، ومن تلك الأقوال ما يأتي:

1. إن المصورين من جملة من يعذبون أشد العذاب، وليس في الآية ما يقتضي اختصاص آل فرعون بأشدّ العذاب، بل هم في العذاب الأشدّ، فكذلك غيرهم يجوز أن يكون في العذاب الأشد.

2. إن المراد في الحديث من يصوّر ما يعبد من دون الله، وهو عارف بذلك قاصد له؛ فإنه يكفر بذلك، فلا يبعد أن يدخل مدخل آل فرعون.

3. إن الوعيد بهذه الصيغة إنما ورد في حق كافر فلا إشكال فيه؛ لأنه يكون مشركًا في ذلك مع آل فرعون، ويكون فيه دلالة على عظم كفر المذكور. وإن ورد في حقّ عاص فيكون أشدّ عذابًا من غيره من العصاة، ويكون ذلك دالا على عظم المعصية المذكورة.

4. إضافة الناس إلى أشد لا يراد بهم كل الناس، بل بعضهم. وهم الذين شاركوا في المعنى المتوعد عليه بالعذاب. ففرعون أشد الناس الذين ادعوا الإلهية عذابا، ومن يُقتدى به في ضلالة كفره أشد عذابا ممن يُقتدى به في ضلالة فسقه، ومن صوّر صورة ذات روح للعبادة أشد عذابًا ممن يصورها لا للعبادة.[18]

2. الحديث الوارد في إنشاد الشعر.

عن عمر بن الشريد، عن أبيه، قال: رَدِفْتُ رسول الله ﷺ يوما، فقال: "هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئا؟" قلت: نعم. قال: "هِيهْ" فأنشدته بيتا، فقال: "هيه" ثم أنشدته بيتا، فقال: "هيه" حتى أنشدته مائة بيت.[19] أفاد هذا الحديث جواز إنشاد الشعر وإنشائه، وثبوت سماع النبي ﷺ الشعر، ومما يدل على الجواز أيضًا ما أخرجه البخاري في الأدب،[20] في حين ورد في مذمّة الشعر والشعراء في التنزيل قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: 224 – 226]. ذكر الشيخ في دفع هذا التعارض أن الجمع بين هذه النصوص ما ذكرته عائشة –رضي الله عنها– قالت: "الشعر منه حسن، ومنه قبيح. خذ الحسن ودع القبيح".[21] فالمذموم من الشعر ما اشتمل على الكفر، أو على الفسق، أو الكلام الفاحش، أو التغزل بأجنبية معينة، أو غير ذلك من المعاصي، فلا يجوز إنشاء مثله ولا إنشاده، إلا استشهادًا في اللغة. أما إذا اشتمل الشعر على معنى حسن، كالتوحيد وحمد الله تعالى، ومدح الرسول ﷺ، وسائر معاني البرّ والخير، فهو مثاب عليه إن شاء الله، وإذا اشتمل على معنى مباح فهو مباح.[22]

---

[18] Al-Usmani, Muhammad Taqi, Takmilah Fath al-Mulhim bi-Sharh Sahih al-Imam Muslim, (Karachi, Maktaba Darul Uloom, 2009), 4/102.

[19] Narrated by Muslim, Kitab al-Shiʿr, No. 2255, 4/1747.

[20] عن أبي بن كعب أخبره، أن رسول الله ﷺ قال: (إن من الشعر حكمة)؛
Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, Al-Adab al-Mufrad, Edited by Muhammad Fuad Abdul-Baqi, (Cairo, al-Matba'ah al-Salafiyyah wa Maktabatihā, 2nd ed. 1379H), No. 858, p, 297.

[21] Al-Bukhari, Al-Adab al-Mufrad, No.299, p,866.

[22] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 4/250.

3. الحديث الوارد في عدم كفاية العمل الصالح للنجاة يوم القيامة.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لن ينجي أحد منكم عمله)، قال رجل: ولا إياك؟ يا رسول الله! قال: (ولا إياي، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، ولكن سددوا).[23] ظاهر هذا الحديث معارض لقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 32]، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: 72]. ففي دفع هذا التعارض ذكر الشيخ أقوال العلماء، وأخيرًا قال: حاصل معظم هذه الأقوال واحد، وهو أن الأعمال بمجردها لا تصلح أن تكون علة تامة لدخول الجنة؛ لأن عمل الإنسان مهما بلغ الذروة من الكمال، فإنه ناقض في جناب الله تعالى، ولأن العمل المتناهي يقصر من أن يكون علّة للنعم الخالدة في الجنة، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل الأعمال سببا لدخول الجنة بمحض فضله وكرمه، فالنفي في الرواية نفي لكون الأعمال سببا في نفسها بحيث تستحق الجنة من أصلها، والسببية المذكورة في الآيتين سببيّة حصلت بفضل الله ورحمته، فلا تنافي بينهما.[24]

دفع التعارض عن الأحاديث التي توهم التعارض فيما بينها.

الرسول ﷺ معصوم عن الخطأ في جانب التشريع، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3–4]، ولذلك لا يمكن أن يدخل فيما يصدر عنه ﷺ تعارض أو تناقض، فإذا أوهم بعض روايات الحديث تناقضًا مع بعضها الآخر فينبغي فهم النصوص بما يحقق الانسجام فيما بينها ويدفع عنها التعارض.[25] وقد اهتم الشيخ بدراسة الروايات المختلفة للحديث لتوضيح معانيها الدقيقة، مما يساعد في رفع أي غموض أو إشكال قد يتبادر إلى ذهن القارئ. وفيما يلي ذلك بعض النماذج:

1. الأحاديث الواردة في أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة.

عن عبد الله ابن مسعود –رضي الله عنه–، قال رسول الله ﷺ: (أول ما يقضى بين الناس، يوم القيامة، في الدماء).[26] هذا الحديث يوهم التعارض مع الأحاديث التي تجعل "الصلاة" أول ما يُحاسب عليه المرء، وقد بين الشيخ أن هذا الحديث لا يعارضه ما أخرجه أصحاب السنن من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته).[27] فالحديث الذي ذكر فيه الدماء محمول على ما يتعلق بحقوق العباد، وحديث الصلاة متعلق بحقوق الله. وقد جمع النسائي بينهما فيما أخرجه من

[23] Narrated by Muslim, Kitab Sifat al-Qiyamah wa al-Jannah wa al-Nar, Bab Lan yadkhul ahad al-jannah bi-ʿamalih, bal bi-rahmat Allah taʿala, No. 2816, 4/2169.
[24] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 6/84
[25] Al-Bayanuni, Mushkil al-Hadith: Dirasah Ta'siliyyah Muʿasirah, 71.
[26] Narrated by Muslim, Kitab al-Qasamah wa al-Muharibin wa al-Qisas wa al-Diyat, Bab al-Mujazah bil-Dima' fi al-Akhirah... No. 1678, 3/1304.
[27] Narrated by al-Nasa'i, Kitab al-Salah, Bab al-Muhasabah 'ala al-Salah, No. 466, 1/232؛ Narrated by Abu Dawud, Kitab al-Salah, Bab Qawl al-Nabi ﷺ: "Kullu Salah la yutimuhu sahibuhu tutamm min tatawwu'ihi, No. 864, 2/148؛ Narrated by al-Tirmidhi, Abwab al-Salah. Bab ma ja'a anna awwal ma yuhasabu bihi al-'abd yawma al-qiyamah al-salah, No. 413, 1/437, وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه؛

حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– مرفوعًا: (أول ما يحاسب به العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء).[28]

2. الأحاديث الواردة في اللعب بالدمي المجسمة.

عن عائشة –رضي الله عنها– أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ، قالت: وكانت تأتيني صواحبي فكن ينقمعن من رسول الله ﷺ، قالت: فكان رسول الله ﷺ يسربهن إليّ.[29] ففي هذا الحديث المراد بالبنات اللعب التي صورتها صورة البنات، وقد استُشكل هذا الحديث بما روى من تحريم الصور، كما في رواية عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–، قال رسول الله ﷺ: (إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون).[30]

ففي دفع هذا التعارض سلك أهل العلم مسلكين: الجمع والنسخ، فأصحاب النسخ جعلوا حديث عائشة –رضي الله عنها– قبل تحريم الصور، وحكى الشيخ أن البيهقي مال إلى هذا المسلك، أما الجمهور هم قد ذهبوا إلى الجمع، فقالوا: اللعب بالدمى المصورة مستثنى من الصور المنهي عنها، لما في ذلك من تدريب النساء في صغرهن على النظر لأنفسهن، وبيوتهن، وأبنائهن. وتمسّك بهذا المسلك القاضي عياض[31]، والقرطبي[32]، والشيخ محمد تقي العثماني أيضًا سلك مسلك الجمع، وذكر أن هذه الرخصة إنما هي في اللعب البسيطة التي يلعب بها الصبيان، أما إذا كانت في صورة أصنام مجسدة واستعملها الناس لتزيين الجدران وغيرها، فلم يجزها أحد.[33]

3. التعارض بين الروايات في الأمر الذي كانت عليه بيعة رضوان.

اختلفت الروايات في بيان الأمر الذي بايع الصحابة –رضي الله عنهم– النبي ﷺ عليه في بيعة الرضوان يوم الحديبية. ففي حديث جابر[34] –رضي الله عنه– البيعة على عدم الفرار، وفي رواية ابن عمر –رضي

---

[28] Narrated by al-Nasa'i, Kitab Tahrim al-Dam, Bab Ta'zim al-Dam, No. 3991, 7/83؛ Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 2/214.

[29] Narrated by Muslim, Kitab Fada'il al-Sahabah, Bab fi Fadl 'Ayesha (Radiyallahu Ta'ala 'Anha), No. 2440, 4/1890.

[30] Narrated by Muslim, Kitab al-Libas wa al-Zeenah, Bab Tahrim Taswir Surah al-Hayawan... No. 2104, 3/1664.

[31] Al-Qadi Iyad, Iyad ibn Musa, Ikmal al-Mu'allim bi Fawa'id Muslim, Edited by Yahya Ismail, (Misr, Dar al-Wafa' li al-Taba'ah wa al-Nashr wa al-Tawzi, 1998), 7/448.

[32] Al-Qurtubi, Al-Mufhim lima Ashkala min Talkhis Kitab Muslim, 6/323.

[33] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 5/78.

[34] عن جابر -رضي الله عنه-: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة، فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سَمُرَةٌ[34]، وقال: وبايعناه على أن لا نَفِرَّ، ولم نبايعه على الموت؛

Narrated by Muslim, Kitab al-Imarah, Bab Istihbab Mubaya‘at al-Imam al-Jaysh ‘ind Iradat al-Qital... No. 1856. 3/1483.

الله عنهما-: البيعة على الصبر.[35] بينما ذكر في رواية أخرى أن البيعة على الموت.[36] دفع الشيخ هذا التعارض بقوله، نقلًا عن الحافظ ابن حجر: إن من أطلق أن البيعة كانت على الموت؛ أراد لازمها؛ لأنه إذا بايع على أن لا يفر لزم من ذلك أن يثبت، والذي يثبت إما أن يغلب، وإما أن يؤسر، والذي يؤسر إما أن ينجو، وإما أن يموت. ولما كان الموت لا يؤمن في مثل ذلك أطلقه الراوي. وحاصله أن أحدهما حكى صورة البيعة، والآخر حكى ما تؤول إليه. وجمع الترمذي بأن بعضا بايع على الموت وبعضا بايع على أن لا يفر الحديث.[37]

4. الأحاديث الواردة في كون الحدود كفارات لأهلها.

عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: (تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق. فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه).[38] أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث أن الحدود كفارات لأهلها، بينما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- نفى النبي ﷺ علمه عن كون الحدود كفارات لأهلها، فقال: (ما أدري الحدود كفارة لأهلها أم لا؟).[39]

في هذه المسألة كلام طويل، وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن الحدود كفارة أخذا بحديث أبي عبادة لقوة إسناده، وأعلوا حديث أبي هريرة بالضعف، واختار هذا المذهب القاضي عياض،[40] والعيني[41] وغيرهما، ومال الحافظ في الفتح إلى نسخ حديث أبي هريرة، لما تحقق عنده أن حديث عبادة متأخر وقع بعد فتح مكة، فإنما جعل رسول الله ﷺ الحدود كفارة بعدما علم بذلك بالوحي، وتوقف عنه في مبدأ الأمر.[42]

وسلك الشيخ على مسلك الجمع، والتوفيق بين الروايات المتعارضة، حيث بين أن القول "فهو كفارة له"، ليس حكما، بل أمر مرجو من رحمة الله، أي إذا أقيم عليه الحد، فيرجى من الله سبحانه وتعالى أن يجعلها كفارة له. ويدل عليه رواية الترمذي: (من أصاب حدا، فجعل عقوبته في الدنيا، فالله أعدل من أن يُثَنِّيَ على عبده العقوبة في الآخرة، ومن أصاب حدا فستره الله عليه وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود

---

[35] عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: رجعنا من العام المقبل، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله، فسألت نافعا: على أي شيء بايعهم، على الموت؟ قال: لا، بل بايعهم على الصبر.
Narrated by al-Bukhari, Kitab al-Jihad wa al-Siyar, Bab al-Bay'ah fi al-Harb an la yafruu... No. 2798, 3/1080.

[36] عن يزيد بن أبي عبيد، مولى سلمة بن الأكوع، قال: قلت لسلمة: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.
Narrated by Muslim. No. 1860, 3/1486.

[37] Al-Asqalani, Ahmad ibn Ali ibn Hajar, Fath al-Bari bi Sharh Sahih al-Bukhari, (Misr, al-Maktabah al-Salafiyyah, 1379H) 7/450; Al-Usmani. Takmilah Fath al-Mulhim, 3/202.

[38] Narrated by Muslim, Kitab al-Hudud. Bab al-Hudud Kafarat li Ahlaha, No. 1709, 3/1333.

[39] Al-Hakim, Abu Abdullah Muhammad ibn Abdullah, Al-Mustadrak 'ala al-Sahihayn, Edited by Mustafa Abd al-Qadir Ata, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah 1990), 2/488.

[40] Al-Qadi Iyad, Ikmal al-Mu'allim bi Fawa'id Muslim, 5/550.

[41] Al-Aini, Badr al-Din. Umdat al-Qari Sharh Sahih al-Bukhari, (Beirut, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi), 1/157.

[42] Al-Asqalani, Fath al-Bari bi Sharh Sahih al-Bukhari, 12/84.

إلى شيء قد عفا عنه).[43] فهذا الحديث يشير إلى أن كون الحد كفارة ليس بحكم، ولكنه أمر مرجو نظرًا إلى عدله تعالى، كما أنه مرجو في حال ستره أيضًا، نظرًا إلى كرمه تعالى. وبذلك يتم التوفيق بين جميع الروايات.[44]

دفع التعارض عن الأحاديث التي تُوهِم مخالفة القواعد الشرعيّة.

القواعد الشرعية مقياس مهم من مقاييس نقد المتن عند المحدثين، وميزان من الموازين التي استخدمها المحدثون والفقهاء في هذا المجال، وردوا بعض الروايات لمخالفتها تلك الأصول والقواعد، ومن أوجه استشكال نص الحديث الشريف ما يوهمه من مخالفة تلك الأصول والقواعد؛ فينبغي عندئذ العمل على الجمع والتوفيق بينهما، فإن لم يمكن الجمع بينهما أدى ذلك إلى الحكم بوجود علة في الرواية، وعدم قبولها.[45] وقد اهتم الشيخ بالجمع بين تلك الأصول والقواعد الشرعية، وبين ما أوهم مخالفتها من الأحاديث النبوية.

1. القاعدة القرآنية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]

بين الله تعالى في هذه الآية أن الشرك هو الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله تعالى لمن مات وهو متلبسّ به. فهذه قاعدة كلية لكن قد جاء في بعض الأحاديث ما يوهم مناقضة هذه القاعدة. ولذلك لجأ الشيخ العثماني إلى تأويل تلك الأحاديث بما لا يتعارض مع تلك القاعدة.

أ. حديث: (لا يدخل الجنة قاطع).[46] إن ظاهر هذا الحديث يوهم أن القاطع لا يدخل الجنة أبدًا، وأشار الإمام النووي إلى قاعدة عامة ينبغي فهم الأحاديث النبوية الواردة في هذا الموضوع في ضوئها، وتأويل ما كان ظاهره بخلافها، حيث يقول: واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال.... وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولا وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة. فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل، هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة. وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي، فإذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من أحاديث الباب وغيره، فإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة وجب تأويله عليها ليجمع بين نصوص الشرع.[47]

---

[43] Narrated by al-Tirmidhi, Abwab al-Iman an Rasul Allah ﷺ, Bab ma ja'a la yazni al-zani wa huwa mu'min, No. 2626. 5/16.وقال: وهذا حديث حسن غريب

[44] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 2/306.

[45] Al-Bayanuni, Mushkil al-Hadith: Dirasah Ta’siliyyah Muʿasirah, 83.

[46] Narrated by Muslim, Kitab al-Birr wa al-Silah wa al-Adab. Bab Silat al-Rahim, wa Tahrim Qati'atiha, No. 2556, 4/1981.

[47] Al-Nawawi, Abu Zakariya Muhyi al-Din Yahya ibn Sharaf. Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim ibn al-Hajjaj, (Beirut, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, 1392H), 1/217.

وقد بيّن الشـــيخ أن مراد الدخول هنا الدخول الأوليّ، أو المراد أنه لا يدخل الجنة مطلقًا إذا اســتحلّ قطع الرحم بلا شــبهة مع العلم بتحريمها، فبســبب تحريم الحلال صــار كافرًا، والكافر مخلد في النار.[48] وبذلك تتضح مراعاة الشيخ للقواعد الشرعية في شرحه لهذا الحديث.

ب. حديث: (من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ).[49] أتى الشيخ برواية البخاري في شرح هذا الحديث: (من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبدا).[50] يُفهم منه أن عذابه يستمرّ إلى أن يقع منه نفخ الروح فعلًا، وهذا محال، ويستشكل هذا الوعيد في حق المسلم. وقد بين الشيخ أن هذا التكليف للتعجيز، والمراد من قوله "حتى ينفخ فيها الروح"، "حتى يأمره بنفخ الروح"، كما هو مصرح في الروايات الأخرى، وهذا الأمر يكون للتعجيز، وليس المراد أن عذابه يستمرّ إلى أن يقع منه نفخ الروح فعلًا، وهو لا يستطيع ذلك فيستمرّ إلى الأبد.[51]

2. القاعدة حديثية: (كل مولود يولد على الفطرة)[52]

مفهوم هذه القاعدة أن ابن آدم يولد على الفطرة، وهي قبول الحق، وقد جاء في رواية أبي ذر –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّما، فلا تظالموا. يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم...).[53] فظاهر هذه الرواية يدل على أن فطرة الناس كانت على الضلال،[54] وهذا معارض للقاعدة الحديثية: (كل مولود يولد على الفطرة). والشيخ قد رفع هذا التعارض قائلًا: ويمكن الجواب عن أصل الإشكال بأن كون الناس على الهداية بفطرتهم إنما ثبت بخلق الله إياهم على الفطرة، فلو لم يخلقهم على ذلك لكانوا في ضلال، وهذا معنى قوله "كلكم ضال إلا من هديته"، أي لولا أني خلقتكم على الفطرة، لكنتم جميعًا من الضالين.[55]

دفع التعارض عن الأحاديث التي تُوهِم مخالفة العقل.

قد يأتي الإشكال في الرواية لمخالفتها قواعد العقل وموجباته في الظاهر، فالأحكام والقواعد العقلية الصادرة عن عقل سليم منضبط بضوابط الشرع، عارف لحدوده ومجالاته، ولا يخوض فيما لا يدركه ولا يقدر عليه، هي دليل قطعي لا يمكن أن يتعارض مع صحيح الحديث الشريف.[56] ومن الأحاديث التي استشكلت لما

[48] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 5/175.
[49] Narrated by Muslim, Kitab al-Libas wa al-Zeenah, Bab Tahrim Taswir Surah al-Hayawan... No. 2104, 3/1664.
[50] Narrated by al-Bukhari, Kitab al-Buyu', Bab Bay‘ al-Tasawir allati laysa fiha Ruh, wa ma yukrahu min dhalik, No. 2112, 2/775.
[51] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 4/105.
[52] Narrated by al-Bukhari, Kitab al-Janaiz, Bab ma qila fi Awlad al-Mushrikin, No. 1319, 1/465.
[53] Narrated by Muslim, Kitab al-Birr wa al-Silah, Bab Tahrim al-Zulm, No. 2577, 4/1994.
[54] Al-Qadi Iyad, Ikmal al-Mu'allim bi Fawa'id Muslim, 8/64.
[55] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 5/194.
[56] Al-Bayanuni, Mushkil al-Hadith: Dirasah Ta’siliyyah Muʿasirah, 84.

توهمه من مخالفة العقل حديث حذيفة ابن اليمان –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال: (إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه....).[57] معناه أن الشيطان يجعله كالحلال له، فيتمكن من أكله إذا لم يذكر اسم الله عليه، فقد زعم بعضهم أن مثل هذه الأحاديث يناقض العقل، وقالوا: "والشيطان روحاني كالملائكة، فكيف يأكل ويشرب؟ وكيف يكون له يد يتناول بها؟".[58]

ذكر الشيخ أقوالًا عديدة في مراد أكل الشيطان نقلًا عن القرطبي، وبين أن كثيرا من السلف حمله على الحقيقة إذ لا يحيلها العقل، وهم وإن كانوا أجسامًا لطيفة روحانية فلا يبعد أن تكون تتغذى بلطيف رطوبات بعض الأغذية وروائحها. وفي شرح حديث آخر: (لا يأكلن أحد منكم بشماله، ولا يشربن بها؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها).[59] أتى الشيخ بقول الحافظ: والأولى حمل الخبر على ظاهره، وأن الشيطان يأكل حقيقة؛ لأن العقل لا يحيل ذلك، وقد ثبت الخبر به، فلا يحتاج إلى تأويله.[60]

دفع التعارض عن الأحاديث التي تُوهِم مخالفة الحسّ والواقع.

قد يأتي استشكال الرواية بسبب ما توهمه من مخالفة مع الحس والواقع، لكن النظر الصحيح يثبت عدم وجود هذه المخالفة، وإمكانية التوفيق بينهما.[61]

أ. الأحاديث التي تُوهِم مخالفة الحسّ.

ومن الروايات التي استشكلها بعضهم لمخالفتها الحس والمشاهدة في زعمهم، حديث جابر بن سمرة – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن).[62] فهذه معجزة من معجزات النبي ﷺ أن الحجر كان يسلم عليه، لكن استشكل بعضهم مثل هذه الروايات، حيث أنكرت جماعة من المعتزلة المعجزات، وكذلك بعض المعتزلة الجُدد، فذكر الشيخ في شرح هذه الرواية نقلًا عن الإمام النووي: وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 74]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44]، وفي هذه الآية خلاف مشهور. والصحيح أنه يسبح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزًا بحسبه كما ذكرنا.[63]

---

[57] Narrated by Muslim, Kitab al-Ashribah. Bab Adab al-Ta'am wa al-Sharab wa Ahkamuhuma, No. 2017, 3/1597.

[58] Ibn Qutaybah, Ta'wil Mukhtalif al-Hadith, 458.

[59] Narrated by Muslim, Kitab al-Ashribah, Bab Adab al-Ta'am wa al-Sharab wa Ahkamuhuma, No. 2020, 3/1599.

[60] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 4/7-5

[61] Al-Bayanuni, Mushkil al-Hadith: Dirasah Ta’siliyyah Muʿasirah, 87.

[62] Narrated by Muslim, Kitab al-Fada'il. Bab Fadl Nasab al-Nabi ﷺ, wa Taslim al-Hajar 'alayh qabl al-Nubuwwah. No. 2276, 4/1782.

[63] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 4/280؛ Al-Nawawi, Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim ibn al-Hajjaj, 15/36.

وفي مقام آخر رد الشيخ على المعتزلة في مسألة إنكار المعجزة، حيث زعموا أن الأشياء الخارقة للعادة مصادمة لقوانين الكون وفطرته، فلا ينبغي أن يعترف بوقوعها. فأجاب الشيخ عن هذا الاستدلال بأن قوانين الكون والفطرة، ليست إلا من وضع الله سبحانه وتعالى، ومن وضع قانونًا فإنه يحقّ له أن يستثني من مقتضياته ما شاء.[64]

كما رد الشيخ استدلال الفلاسفة في هذه المسألة، أن لوازم الأشياء وخواصها معلولة بعلل ظاهرة يتوقف عليها وجود المعلولات، فلا يتخلف معلول عن علّة، ولا علة عن معلول. فأنكر هذا الاستدلال قائلًا: إن هذه النظرية لم تزل سائدة حتى ثبت من الفلسفة الجديدة أن خواصّ الأشياء التي تسمى لازمة ليست معلولة لهذه العلل الظاهرة، وإنما وجود اللازم أو الخاصة مستقل عن وجود الملزوم ذي الخاصّة، فلا مانع من أن يتخلف اللازم أو الخاصة عن الملزوم أو ذي الخاصة، وبالعكس. وهذا قريب مما ذهب إليه العلماء المسلمون في أن اللوازم والخواص كلّها من خلق الله تعالى، ويجوز أن يخلق الله تعالى الملزوم مجردًا عن اللازم، أو اللازم مجردًا عن الملزوم، لأنه تعالى على كل شيء قدير.[65] فظهر بذلك عدم مصادمة المعجزة للقوانين العقلية والكونية، وأن ما لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده.

ب. الأحاديث التي تُوهِم مخالفة الواقع.

توهُّم مخالفة الواقع في الحديث النبوي هو الاعتقاد بأن نص الحديث يخالف الواقع المشاهد أو يتعارض مع ما هو معروف بالتجربة. قد ينشأ هذا التوهم نتيجة عدم فهم النص بشكل صحيح أو عدم معرفة السياق الذي قيل فيه الحديث، أو بسبب فهم غير دقيق للواقع نفسه.

ومن ذلك حديث: (من حلف منكم، فقال في حلفه: باللات. فليقل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق).[66] استشكل هذا الحديث حيث يعارض واقع المسلم وحاله أن كيف يتصور من مسلم أن يحلف باللات أو بغيره من الأصنام؟ فأجاب الشيخ أن القوم كانوا حديثي العهد بالشرك، وكانت أيمان الجاهلية جارية على ألسنتهم، فربما كانت ألسنتهم تنطلق بمثل هذه الأيمان من غير أن يتعمدوا ذلك باختيارهم. وأتى برواية النسائي[67] عن سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه–: كنا نذكر بعض الأمر، وأنا حديث عهد بالجاهلية، فحلفت باللات والعزى، فقال لي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: بئس ما قلت، ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فإنا لا نراك إلا قد كفرت، فأتيته

---

[64] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 4/281

[65] Ibid, 4/281

[66] Narrated by Muslim, Kitab al-Ayman, Bab Man Halafa Bil-Lat wal-Uzza... No. 1647, 3/1267.

[67] Narrated by al-Nasa'i, Kitab Al-Ayman wa al-Nuzur, Al-Hilf Bil-Lat wal-Uzza, No. 3776, 7/7.
وقد وصف ابن حجر إسناده بالقوي؛

Al-Asqalani, Fath al-Bari bi Sharh Sahih al-Bukhari, 8/612.

فأخبرته، فقال لي: قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثلاث مرات، وتعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات، واتفل عن يسارك ثلاث مرات، ولا تعد له.[68]

ومن ذلك حديث: (في أمتي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها...).[69] خصّ النبي ﷺ اثنا عشر رجلًا في هذا الحديث. وفي الواقع أن المنافقين كانوا أكثر من ذلك؛ فأجاب الشيخ أن هذا الحديث يتعلق بقصة مخصوصة، أخرجها الطبراني[70] في الأوسط عن حذيفة قال: كنت آخذًا بزمام ناقة رسول الله ﷺ أقود، وعمار يسوق، أو عمار يقود وأنا أسوق به، إذ استقبلنا اثنا عشر رجلًا متلثمين. قال: (هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة). قلت: يا رسول الله! ألا تبعث إلى كل رجل منهم فتقتله؟ فقال: (أكره أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، وعسى يكفينهم بالدبيلة). قلنا: وما الدبيلة؟ قال: (شهاب من نار يوضع على نياط قلب أحدهم فيقتله).[71] فأزال الإشكال بهذه الرواية.

دفع التعارض عن الأحاديث التي تُوهِم مخالفة التاريخ الثابت.

قد يأتي استشكال الرواية من جهة ما توهمه من تعارض مع التاريخ الثابت، وعند ذلك ينبغي تأويل الرواية بما ينسجم مع تلك الأخبار الصحيحة. وقد جعل المحدثون التاريخ الصحيح الثابت مقياسًا من المقاييس التي توزن بها الروايات، ونقدوا عددا من الروايات لمناقضتها ما ثبت من الأخبار التاريخية.[72]

ومن الأحاديث المشكلة بسبب مخالفتها التاريخ الثابت، حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ: يا نبي الله! ثلاث أعطنيهن. قال: "نعم" قال: عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجكها. قال: "نعم" قال: ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك. قال: "نعم". قال: وَتُؤَمِّرُنِي حتى أقاتل الكفار، كما كنت أقاتل المسلمين. قال: "نعم"...[73] هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بإشكالين.

الإشكال الأول:

ظاهر هذا الحديث يدل أن رسول الله ﷺ إنما تزوج أم حبيبة –رضي الله عنها– بعد إسلام أبي سفيان وبعد فتح مكة، وهذا مخالف للتاريخ وذلك أن أبا سفيان أسلم عام الفتح سنة ثمان بلا خلاف.

---

[68] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 2/110

[69] Narrated by Muslim, Kitab Sifat al-Munafiqun wa Ahkamuhum, No. 2779, 4/2143.

[70] Al-Tabarani, Sulayman bin Ahmad, Al-Mu'jam al-Awsat, (Cairo, Dar al-Haramayn, 1995), No. 8100, 8/102.

قال الهيثمي: وفيه عبد الله بن سلمة، وثقه جماعة، وقال البخاري: لا يتابع على حديثه؛

Al-Haythami, Abu al-Hasan Nur al-Din, Majma' al-Zawa'id wa Manba' al-Fawa'id, Edited by Husam al-Din al-Qudsi, (Cairo, Maktabat al-Qudsi. 1994), No. 419, 1/109.

[71] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 6/53.

[72] Al-Bayanuni, Mushkil al-Hadith: Dirasah Ta'siliyyah Muʿasirah, 90

[73] Narrated by Muslim, Kitab Faḍaʾil al-Ṣaḥabah, Bab min Faḍaʾil Abi Sufyan bin Ḥarb, No. 2501, 4/11945.

وكان النبي ﷺ قد تزوج أم حبيبة –رضي الله عنها– قبل ذلك بزمان طويل.[74] استعرض الشيخ تأويل بعض العلماء الذين قالوا بأن أبا سفيان أراد تجديد العقد بعد إسلامه، ولكنه توقف في قبول هذا التأويل، مشيرًا إلى أنه لا يتناسب مع ظاهر لفظ الحديث، وذهب إلى أن الإشكال قد يكون نتيجة وهم من أحد الرواة.[75]

الإشكال الثاني:

" وَتُؤَمِّرُنِي حتى أقاتل الكفار"، يفهم من هذه الجملة أن النبي ﷺ أمّر أبا سفيان في حرب من الحروب، ولم يثبت في التاريخ أنه ﷺ ولاّه على شيء، مع بقائه ﷺ سنتين، وأشهرًا بعد الفتح قبل أن يُقبض، وقد أمّر على المقاتلة والسرايا والبعوث جماعة ليس منهم أبو سفيان –رضي الله عنه–.[76] ذكر الشيخ ثلاث احتمالات في دفع هذا التعارض:

1. أن يكون رسول الله ﷺ أمّره على بعض السرايا الصغيرة ولم تنقل إلينا.
2. أنه ﷺ كان يرتقب فرصة مناسبة لتأميره، ولم يجد حتى سبقه الأجل.
3. أنه قد ظهر له مانع شرعي حال دون تأميره، وفي مثل هذه الحالة لا يجب الوفاء بالوعد.[77]

دفع التعارض عن الأحاديث التي تُوهِم مخالفة الحقائق العلميّة الثابتة.

ما ثبت من حقائق العلم هو سنة من سنن الله تعالى في هذا الكون، ولا يمكن أن تخالف نصوص الحديث المقبول أيّا من هذه السنن. فإذا ورد من نصوص الحديث ما يوهم مخالفة لتلك الحقائق وجب تأويله بما يدفع هذا الإشكال، إن كان التأويل وجه سائغ مقبول.[78] ومن الأمثلة على الأحاديث الصحيحة التي أوهمت معارضة بعض الحقائق العلمية ما يأتي:

المثال الأول:

حديث: (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها...)[79] استشكله عامّة شراح الحديث، وقالوا: لا يمكن حمل هذا الحديث على ظاهره، لأن التصوير لا يقع في الأربعين الثانية، كما ذهب إليه القاضي.[80] لكن الشيخ قد حمل هذا الحديث على ظاهره، حيث قال: والواقع أنه لا إشكال فيه أصلا، لأن التصوير عمل يستكمل في عدة مراحل، فالتصوير المبدئي يبتدئ في الأربعين الثانية، ولكنه تصوير خفيّ، قد عبّر عنه بعض الأطباء المتقدمين بالخطوط، ولا

[74] Al-Nawawi, Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim ibn al-Hajjaj, 16/63.
[75] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 5/137.
[76] Al-Sa'idi, Saud ibn Eid, Al-Ahadith al-Waridah fi Fada'il al-Sahabah,
(Islamic University of Madinah, Research and Studies Deanship, 1427H), 8/348.
[77] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 5/138.
[78] Al-Bayanuni, Mushkil al-Hadith: Dirasah Ta'siliyyah Muʿasirah, 92.
[79] Narrated by Muslim, Kitab al-Qadr, Bab Kayfiyyat Khalq al-Adami… No. 2645, 4/2037.
[80] Al-Qadi Iyad, Ikmal al-Mu'allim bi Fawa'id Muslim, 8/127.

تظهر الصورة في المراحل الأولى ظهورًا بارزًا، وإنما تبقى خفيّة للعين المجردة، وقد تدركه الآلات المكبّرة، أما التصوير البارز الذي يظهر لكل أحد، فإنما يتم عند تمام الأربعين الثالثة.[81] فظهر بذلك أن هذا الحديث لا يخالف الحقائق العلمية الثابتة، والله تعالى أعلم.

المثال الثاني:

حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–: "لولا بنو إسرائيل، لم يخبث الطعام. ولم يخنز اللحم. ولولا حواء، لم تخن أنثى زوجها، الدهر".[82] ظاهر هذا الحديث يتعارض مع الحقائق العلمية من حيث قابلية اللحم للتغير والفساد، فالحقيقة العلمية تثبت أن هذا طبيعة اللحم من حيث التجربة والإثبات وهي من مسلمات العلم والواقع، فكيف أن اللحم لم يكن يفسد، وفسد على يد أناس معينين فهذه طبيعة اللحم؟

فأجاب الشيخ أن الحديث لا يدل على أن من كان قبل بني إسرائيل لم يكن يفسد عليهم الطعام واللحم ولو ادخروهما. وإنما المعنى أن الادخار لم يكن معهودًا قبل بني إسرائيل؛ فإنهم كانوا يأكلون ويطعمون فلا يفسد عليهم شيء، حتى جاء بنو إسرائيل فجعلوا يدخرونه حتى فسد عليهم، وهذا كقولهم: "لا ترى الضب بها ينحجر" أي لا ضب ولا انحجار، ومع ذلك ذكر أقوالًا أخرى.[83]

خاتمة البحث.

تناول البحث المجالات الرئيسة لاهتمام الشيخ محمد تقي عثماني في دراسته للأحاديث المشكلة من خلال شرحه لصحيح الإمام مسلم "تكملة فتح الملهم"، وقد توصل إلى عدد من النتائج، وهي كما يأتي:

– أولًا: عناية الشيخ العثماني بدراسة الأحاديث المشكلة من خلال شرحه لصحيح الإمام مسلم، وذلك بدفع ما توهمه من التعارض مع الأدلة والقواعد الشرعية مما يساهم في تقديم فهم شامل لهذا النوع من الأحاديث.

– ثانيًا: حرص الشيخ على التوفيق بين الأحاديث النبوية وما أوهمت التعارض معه من النصوص القرآنية أو الأحاديث الثابتة الأخرى، أو القواعد الشرعية، أو القواعد العقلية، أو الواقع المحسوس، أو التاريخ الثابت، أو الحقائق العلمية، حيث عمل على إزالة التعارض الظاهري فيما بينها، وإظهار الانسجام الكامل بينها.

– ثالثًا: محافظة الشيخ على الأصول القواعد الشرعية في فهم الأحاديث، وعدم الانسياق وراء التأويلات المتكلفة التي تخرج النصوص عن معانيها الأصيلة.

– رابعًا: يتميز منهج الشيخ العثماني في التعامل مع مختلف الحديث ومشكله بالدقة والتوثيق والاعتدال، والاستفادة من التراث العلمي للمحدثين.

---

[81] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 5/241.
[82] Narrated by Muslim, Kitab al-Rida', No.1470, 2/1092.
[83] Al-Usmani, Takmilah Fath al-Mulhim, 1/95.

References:

Abu Shahbah, Muhammad ibn Muhammad. *Al-Wasit fi Ulum wa Mustalah al-Hadith*. Cairo: Dar al-Fikr al-‘Arabi.

Al-Asqalani, Ahmad ibn Ali ibn Hajar. *Fath al-Bari bi-Sharh Sahih al-Bukhari*. Egypt: Al-Maktabah al-Salafiyyah, 1379 H.

Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad. *Tahdhib al-Lugha*. Edited by Muhammad ‘Awad Mur’ib. Beirut: Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi, 2001.

Al-Bayanuni, Fath al-Din Muhammad Abu al-Fath. *Mushkil al-Hadith: Dirasah Ta’siliyyah Mu‘asirah*. Egypt: Dar al-Salam, 2012.

Al-Bayanuni, Fath al-Din, and Haifa’ Abd al-‘Aziz al-Ashrafi. "Istishkal al-Ahadith al-Nabawiyyah fi Daw’ al-Qawa‘id al-Shar‘iyyah." *Journal of Hadith Studies*, University of Islamic Sciences Malaysia, 2021.

Al-Bayanuni, Fath al-Din, and Suyuti Abdul Munas. *Ulum Dirayah Matn al-Hadith*. Brunei Darussalam: Universiti Islam Sultan Sharif Ali, 2021.

Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma‘il. *Al-Adab al-Mufrad*. Edited by Muhammad Fu’ad ‘Abd al-Baqi. Cairo: Al-Matba‘ah al-Salafiyyah wa Maktabatuha, 1379 H.

Al-Bukhari, *Sahih al-Bukhari*. Edited by Mustafa Dib al-Bugha. Damascus: Dar Ibn Kathir, Dar al-Yamama, 1993.

Al-Haythami, Abu al-Hasan Nur al-Din. *Majma‘ al-Zawa’id wa Manba‘ al-Fawa’id*. Edited by Husam al-Din al-Qudsi. Cairo: Maktabat al-Qudsi, 1994.

Al-Kattani, Muhammad ibn Ja‘far. *Al-Risalah al-Mustatrafah li-Bayan Mashhur Kutub al-Sunnah al-Musharrafah*. Edited by Muhammad al-Muntasir ibn Muhammad al-Zamzami. Beirut: Dar al-Basha’ir al-Islamiyyah, 2000.

Al-Khayr Abadi, Muhammad Abu al-Layth. *Ulum al-Hadith Asiluha wa Mu‘asiruha*. Deoband: Maktabat Dar al-‘Ulum Waqf, 2023.

Al-Nasa’i. *Sunan al-Nasa’i*. Cairo: Al-Maktabah al-Tijariyyah al-Kubra, 1930.

Al-Nawawi, Abu Zakariyya Muhyi al-Din Yahya ibn Sharaf. *Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim ibn al-Hajjaj*. Beirut: Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi, 1392 H.

Al-Nisaburi, Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri. *Sahih Muslim*. Edited by Muhammad Fu’ad ‘Abd al-Baqi. Cairo: Matba‘at Isa al-Babi, 1955.

Al-Qadi ‘Iyad. *Ikmal al-Mu‘allim bi-Fawa’id Muslim*. Edited by Yahya Isma‘il. Egypt: Dar al-Wafa li al-Tiba‘ah wa al-Nashr wa al-Tawzi, 1998.

Al-Sa‘idi, Saud ibn Eid. *Al-Ahadith al-Waridah fi Fada’il al-Sahabah*. Madinah: Islamic University of Madinah, Research and Studies Deanship, 1427 H.

Al-Suswah, ‘Abd al-Majid Muhammad Isma‘il. *Manhaj al-Tawfiq wa al-Tarjih wa Atharuhu fi al-Fiqh al-Islami*. Amman: Dar al-Nafais li al-Nashr wa al-Tawzi.

Al-Tabarani, Sulayman ibn Ahmad. *Al-Mu‘jam al-Awsat*. Cairo: Dar al-Haramayn, 1995.

Al-Usmani, Muhammad Taqi. *Takmilah Fath al-Mulhim bi-Sharh Sahih al-Imam Muslim*. Karachi: Maktabat Dar al-‘Ulum, 2009.

Ibn Qutaybah, Abu Muhammad ‘Abd Allah ibn Muslim. *Ta’wil Mukhtalif al-Hadith*. Beirut: Al-Maktab al-Islami – Mu’assasat al-Ishraq, 1999.

Ibn Sayyidah, Abu al-Hasan ‘Ali ibn Isma‘il. *Al-Mukhasas*. Edited by Khalil Ibrahim Jaffal. Beirut: Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi, 1996.

Itter, Nur al-Din. *Manhaj al-Naqd fi Ulum al-Hadith*. Damascus: Dar al-Fikr, 1981.